ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد : 07، العدد : 01 (2022) ص : 01 – 11

اللّغة الانفعالية ومغزى الرؤية الشعرية السياسية قصيدة عزاء على بطاقة تهنئة لأحمد مطر أنموذجا

Emotional language and the significance of political poetic vision A condolence poem on a congratulatory card for Ahmed Matar Model

د. إبراهيم فواتيح عبد الرحيم

جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي تيسمسيلت – الجزائر –

fouatihaderrahim@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الإرسال :
2021 / 05 / 17
تاريخ القبول :
2021 / 10 / 31

الكلمات المفتاحية :
- ✓ اللغة الانفعالية
- ✓ الشعر السياسي
- ✓ أحمد مطر
- ✓ الحاكم، عزاء
- ✓ بطاقة تهنئة

الملخص :

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن تمثلات الأمير عبد القادر الجزائري في الشعر الشعبي بوصفه إنسانيا مقاوما، كما تعمل الدراسة على تتبع صورة الأمير عبد القادر المقاوم والمتصوف والعالم الشاعر ؛تلك العلاقة القائمة على التأثر بشخصه بصفته ملهما وباعثا للكثير من الشعراء في الفصيح والشعبي،ونحن ندرك جيدا أن هذا الجهد لا يتضح ولا يكتمل إلا بالاقتراب من شخصية الأمير عبد القادر بعيدا عن النموذج التاريخي والأدبي الرسمي/الفصيح/بكل مكوناته وأشكاله وأجناسه التعبيرية ،بل من خلال تتبع أثره في نصوص الشعر الشعبي الجزائري،كما نحاول من خلال تتبع صورة مقاومة الأمير في الشعر الشعبي وتجلياتها عند فحول شعر المقاومة منطلقين من الأسئلة التالية :هل يمكننا الحديث عن شعر شعبي مقاوم؟ وما هي خصوصياته ومميزاته الفنية والموضوعية؟ هل لمقاومة الأمير عبد القادر من أثر على الشعر والشعراء الشعبيين؟وما هي مظاهر التأثير؟وما حدود الفني والتاريخي والواقعي في الشعر الشعبي المتأثر بالأمير عبد القادر ومقاومته ؟وهل لنا أن نؤسس مبحثا تاريخيا في المقاومة الشعبية للأمير من خلال شعر المقاومة سواء ذلك الذي جايله أو ذلكم الذي جاء من بعده؟وما مدى صدى تأثير مقاومة الأمير في أشعار من عاصره ومن جاء بعده؟

Article info

Received
17/05/2021
Accepted
31/10/2021

Abstract :

This study examines the issue of emotional language in terms of its effect on political poetry and its function in directing it. We discussed the language of the Iraqi poet Ahmad Matar through his poem, condolence on a congratulatory card, And we tried to limit the most important forms of the poet's emotional language and its expressive patterns drawn from the poem, Because among the important problems that supported us to go into this study was the question about the importance of the emotional function of political discourse.

Keywords:
- ✓ *Emotional language*
- ✓ *Political poetry*
- ✓ *Ahmed Matar*
- ✓ *Ruler, consolation*
- ✓ *Greeting card*

تمهيد

يوجد خلف تلك اللّغة الشعرية البديعة حالات شعورية ووجدانية شتى يمكن استشفارها من خلال التراكيب اللّغوية الشعرية، والقدرة على التواري خلف اللّغة يُتيح للمتلقي ملاحقة الدلالات المتوارية خلف الرموز اللّغوية من خلال الاعتماد على السياقات الخارجية للنّص الّتي تؤثّر في الشاعر، فهذا المتلقي يعلم أنّ : «الصور والمواقف والتعبيرات والجمل الّتي ترسّبت في ذاكرته واستحضرها أثناء العملية الإبداعية، لم تترسّب في الذاكرة من فراغ، لكنّها ترسّبت كمخزون فكري وثقافي وحضاري نتيجة تفاعل ذات المبدع مع الواقع المعيش» (مراد عبد الرحمن مبروك، 2000، ص. 113)، فالواقع الّذي يعيشه الشاعر وحياته خارج قصائده يمثّل مفاتيح لبنية النّص الأدبية، والأفكار هي وليدة عملية التفكير العقلية والّذي بدوره يتبلور في السلوك الإنساني، وعلى ذلك تتأثّر العلاقة بين الشاعر والمتلقي بالثقافة اللّغوية والثقافية لكلٍ منهما.

وقد عُني علم ا اللّغة النفسي بالاهتمام باللّغة كونها ظاهرة نفسية لدى كلٍ من طرفي العملية التواصلية اللّغوية، لأنّ العلاقة النفسية القائمة بين المُلقي والمُتلقي أساس ذلك، فأحدهما يصُوغ الأفكار ويُرسلها والآخر يستقبلها ويُدركها، إضافة إلى أنّ هذا العلم يُعنى بتتبّع العمليات الذهنية المرتبطة باكتساب اللّغة واستخدامها.

وعلم اللّغة النفسي يُعَدّ من العلوم الحديثة الذي لم تتّضح معالمها ولم تستقل استقلالا تاما إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك إثر ظهور الاتجاه المعرفي الفطري في علم اللّغة الّذي يُعدّ ثمرة الالتقاء الحقيقي بين علم اللّغة وعلم النفس، إحلالا للاتجاه العقلاني المعرفي النفسي في النظرة إلى طبيعة اللّغة، وأساليب اكتسابها وتعلّمها وتعليمها- محل الاتجاه السلوكي النفسي المرتبط بعلم اللّغة البنيوي (عبد العزيز العصيلي، 1427هـ/2006م ، ص. 25).

وعليه فإنّ علم اللّغة النفسي يهتمّ بدراسة الجوانب النفسية المرتبطة باللّغة وعملية التفكير الّتي تُسيِّر الاستخدام اللّغوي.

واللّغة الانفعالية تعبّر عن نفسها على وجه العموم بصورتين: باختيار الكلمات وبالمكان الّذي يخصّص لها في الجملة، يعني أنّ معيني اللّغة الانفعالية الأساسيين هما المفردات والتنظيم، أما المفردات فلها الدور الرئيسي الّذي تقوم بلعبه الانفعالية في تغيير معاني الكلمات (فندريس جوزيف، 1950، ص. 186).

وهذه الفكرة منطقية إلى حد بعيد، فالألفاظ ليست إلا رموزا تعبّر عن المعاني الكامنة في النفس، وهي ضرورية لنشاط العقل وتطوّره، فهي تعكس تقدّم الذهن البشري، فالألفاظ بمثابة البطاقة التعريفية للفكر، وتنظيم هذه الألفاظ وترويضها مع الثقافة الاجتماعية والسياسية يثبت القدرة الفكرية لصاحبها، كما أنّ المتكلّم بعد عملية التفكير الّتي تحتكم في الغالب للمنطق لا يسلم من تأثير انفعالاته على الجمل الّتي يركبها.

ولهذا «أمكننا أن نقول بأن التعبير عن أية فكرة لا يخلو مطلقا من لون عاطفي. والسلم الانفعالي نفسه لا يحوي نغمة واحدة تخلو من العاطفة، إذ ليس هناك إلا عواطف يختلف بعضها عن بعض، فمن النادر جدا – عندما تتسابق في ذهننا، ونحن بصدد التعبير عن فكرة

ما، عدة عبارات مختلفة- أن تكون إحدى هذه العبارات عقلية محضة وأن تعبّر عن استدلال منطقي بحت أو أن تصوّر حقيقةً أو حادثاً ما في بساطته العارية من كل لباس. أرى حادثا يقع أمامي فأصبح راثيا لحال صاحبه: "آه! المسكين! " وأصادف صديقا لم أكن أتوقّع لقاءه فأقول له:"أنت! هنا! " فهذه الجمل ذات قيمة انفعالية واضحة كل الوضوح. فإذا صيغت في لغة المنطق الجدلية صارت: "أرثى لهذا المسكين" أو "يدهشني أن أراك هناك» (المرجع نفسه، ص.183-184).

وبهذا لا يكون توظيف اللّغة الانفعالية في الشعر السياسي مجرّد تأثيرات للمشاعر والخلفيات الأيديولوجية والثقافية فقط، وإنّما هو إتقان فنّي قائم على براعة المستخدم في توظيف التراكيب والدلالات واللمسات الجمالية لعباراته، بحيث تكون هادفة ومؤثّرة، بُغية خلق زخم شعوري فعّال في نفس المتلقي، ولذلك كثيرا ما يعتمد الخطاب السياسي على اللّغة الانفعالية للتأثير في الآخر.

والاعتماد على اللّغة الانفعالية من قبل الشاعر لا يعني أن يُغيّب الأحكام المنطقية ويذُوب في بحر العواطف، بل لابدّ أن يحتفظ بالرؤية الواقعية الّتي تتواءم مع الفكر والمجتمع والواقع الّذي يعيشه، وأحمد مطر يجسّد هذه الموافقة باحترافية تدلّ على وعيه ونظرته العميقة، حيث استطاع أن يشكّل نصّه الشعري السياسي الحديث وفق رؤياه وفكره، فكان للافتاته وأشعاره دور عظيم في إثراء القصيدة السياسية العربية وهذا ما سنراه من خلال دراسة اللّغة الانفعالية في قصيدته عزاء على بطاقة تهنئة.

وأحمد مطر يُعدُّ من شعراء السياسة المحدثين البارزين، فقد أثرى لافتاته وقصائده الشعرية بمختلف مصادر اللّغة الانفعالية، سواء كانت مصادرَ لغويَّة: صوتية وصرفية ونحوية ومعجمية ودلالية، أو مصادرَ جمالية أو مصادرَ نفسيَّة، لأنّ أشعار أحمد مطر ما هي إلا انعكاس لأيديولوجياته وأهدافه، فكلّ قصائده ذات تأثير فني ووطني وقومي، ما جعل منه أيقونة الشعر السياسي العربي الحديث، فهو حمل عبء الوطن العربي وما يعيشه من انتكاسات وتراجع.

1. اللغة الانفعالية في قصيدة عزاء على بطاقة تهنئة

عزاء على بطاقة تهنئة (أحمد مطر ،2011، ص. 44)

لِمَنْ نشكو مآسينا ؟

ومَنْ يُصْغِي لشكوانا

ويُجْدينا ؟

أنَشْكُو موتَنا ذُلاً لوالينا ؟

وهل موتٌ سيُحْيِينا ؟

قَطيعٌ نحنُ .. والجزَّارُ راعينا

ومنفيّونَ .. نمشي في أراضينا

ونَحْمِلُ نَعْشَنا قَسْرَاً ..

بأيدينا

ونُعْرِبُ عن تَعازينا

لنا فينا !

فَوَالِينا – أدام اللهُ والينا –

رآنا أُمّةً وَسَطَاً

فما أبقى لنا دُنْيا

ولا أبقى لنا دِينا !

في هذه اللافتة يمكن التحقّق من فنّية اللّغة الانفعالية الّتي وظفها الشاعر من خلال ملاحظة مدى الارتباط الوثيق بين لغة الشعر ورؤية الشاعر للواقع السياسي من حوله، وذلك بتحليل الأساليب الّتي استخدمها الشاعر استخداما رمزيا وهي على محورين:

أولا: الشعب والسلطة.

ثانيا: العالم العربي والعالم الغربي.

2. المحور الأوّل: الشعب والسلطة

تعتمد رؤية الشاعر على العلاقة بين الشعوب العربية والحاكم إلى أساليب فنّية مميّزة، تمتزج بين الرثاء والهجاء والسخرية، على المستويين الفردي والجماعي، ذلك أنّ طرفي الصراع يلتقيان في وطن واحد ومصير واحد، ومن خلال ذلك تتولّد المعاني، وواضح أنّ الشاعر يضع الرثاء والهجاء في خطّين متصارعين، حيث يمثّل الرثاء الشعب الّذي ينتمي إليه أحمد مطر، ويمثّل الهجاء السلطة أي المحور الآخر، ومن خلال الصراع القائم بين هذين المحورين تتبلور رؤية الشاعر للواقع المعيش، من خلال اللّغة الّتي يعتمدها. وللوقوف عند طريقة الشاعر في توظيف اللّغة الانفعالية للتعبير عن هذين المحورين لابدّ من الوقوف عند المحاور الآتية:

– رثاء الذات "الشاعر–الشعب"

– هجاء الحاكم.

1.2. رثاء الذات

يتجاوب رثاء الذات في أبيات القصيدة مع هجاء الآخر بشكل متداخل يجعل من الصعب التركيز على أحدهما منفصلا عن الآخر، ذلك أنّ رثاء الذات هو هجاء للآخر، وقد استخدم أحمد مطر أساليب تعبيرية في رثاء الذات وهجاء الآخر جعلت منه خصما ساخطا ذكيا عنيدا، يمتلك من الوعي ما يكفي لدحض حجج الآخر ودحض مزاعمه. وقد أظهرت اختياراته اللّغوية قوّة المواجهة لديه على طول خط القصيدة.

وتبلور الذات القومية للشاعر ممثّلة في انتمائه للشعب تتّضح من مجموع الضمائر الدالّة عليها، فقد ظهر في استخدامه لضمير الجماعة "مآسينا"، "شكوانا"، "موتنا"....، ما يؤكّد حضور الأنا النفسية من خلال هذه الاستخدامات مقابل استخدام ضمير المفرد للحاكم "والينا"، مع أنّ السلطة يمثّلها مجموعة من الأفراد لا الحاكم وحده، وهذا الاعتماد على ضمائر الجمع لذات الشاعر مقارنة بإفراد ذات

الخصم، يكشف عن رغبة أحمد مطر الّذي ينتمي إلى فئة الشعب، ويعاني من الاضطهاد السياسي والاجتماعي في رثاء ذاته وشعبه من خلال الاستخدامات اللّغوية. ولعلّ تكرار استخدام الضمائر من قبل الشاعر يؤكّد حرصه على تجاوز الوضع الراهن والتحوّل نحو وضع أرقى. وأحمد مطر يحاول باستخداماته اللّغوية التقليل من هيبة الحاكم وتجاهل تلك الفروق السياسية الموجودة وتهميشها من خلال الأداتين التاليتين:

أ. تقريرية الأداء

فلغة أحمد مطر تفيض بالصيغ التقريرية وأساليب الاستفهام، وهو يركّز على أسلوب "الاستفهام" الّذي جاء تكراره مع بداية القصيدة وذلك في قوله:

لِمَنْ نشكو مآسينا ؟
ومَنْ يُصْغِي لشكوانا
ويُجْدينا ؟
أنَشْكُو موتَنا ذُلاً لوالينا ؟
وهل موتٌ سيُحْيِينا ؟

لأنّ تكرار أسلوب الاستفهام يُمِدُّ المعنى بالتوكيد المطلق حيث «إنّ في أسلوب الاستفهام الإثباتي أغراضا بيانية للمتكلّم والمخاطب معا، فبقدر ما يدلّ على ثقة من المتكلّم بنفسه فيما قاله، يدلّ على إحراج المخاطب، لأنّك بأسلوب الاستفهام تترقّب منه جوابا، وهو سيفكّر، ويراجع نفسه، وسيجد نفسه بعد هذه المراجعة، وبعد هذا التفكير في ضيق وحرج، لا يحير معهما جوابا» (عباس فضل حسن، 1429هـ-2009م، ص. 206).

والشاعر يتّخذ من هذه الشكوى مدخلا لرثاء الشعوب المنكسرة أمام حتمية الواقع، كما جعل من أسلوب الاستفهام وسيلة فعّالة لاستمالة الشعب العربي الّذي يسعى إلى توعيته بالواقع السياسي، وهو يعلم أنّ المواطن العربي بحاجة لمثل هذه الجرأة الخطابية، وعليه فإنّ أسلوب الاستفهام يأتي بمثابة القوّة الدافعة، ليتحوّل الخطاب السياسي إلى محرّك دفع، نحو خلق شخصيات سياسية تستطيع تغيير وإصلاح مجتمعاتها، وبذلك يتأكّد لنا الدور الّذي تلعبه اللّغة الانفعالية في قدرة الشاعر على التأثير، من خلال العالم الخارجي الّذي يعيش فيه، لأنّ "التجربة الشعرية بدورها خاضعة لمناخ العصر في جميع مناحيه الفكرية والثقافية والنفسية والأدبية، ومن هنا فإنّ العالم الإشاري الّذي نكتشفه من وراء هذا التفاعل الخاص، لابدّ من أن تكون له روابطه مع هذه التجربة الفريدة" (أحمد الطريسي، ص. 209).

فالاستفهام الّذي قدّمه الشاعر يتميّز بقدرته على تصوير الحالة النفسية لذاته ولشعبه، لأنّ السرّ التعبيري في هذا الاستخدام يكمن في رغبة الشاعر تنبيه السامع في صورة سؤال، ويدعوه بأن يبحث عن الجواب حتى يصل بنفسه، ممّا يوحي بالألم الشديد الّذي يعتري

الشاعر، وأنّه مهما بحث السامع ونقّب، فلن يكون أمامه إلا التسليم بما يؤكّده الشاعر، لأنّه يشاركه الواقع والمصير، فالعواطف الإنسانية تتأثّر بالدوافع الانفعالية.

ومن ناحية أخرى، فقد ركّزت لغة الشاعر على فعل الشكوى وصفة الموت في إطار الاستفهام: "لمن نشكو"، "ومن يصغي لشكوانا"، "أنشكو موتنا"، "وهل موت سيحيينا". وتركيز أحمد مطر على قضيتي الشكوى والموت الّتي تحمل دلالة عقلية على المعاناة والاضطهاد، يؤكّد رغبته في جذب انتباه الحاكم لهذه الصفات الّتي لا يراها أو لا يفهمها. وفي المقطع الموالي يواصل أحمد مطر أسلوبه التقريري من خلال قوله:

قطيع نحن والجزّار راعينا
ومنفيون نمشي في أراضينا
ونحمل نعشنا قسرا بأيدينا
ونعرب عن تعازينا لنا فينا

وهذه التعابير تمثّل نمطا أسلوبيا لافتا، لما فيها من امتزاج بين التهكّم والرثاء والاستهجان، حيث يختلط الشكّ باليقين، وهو ما يحدث الدهشة عند المتلقي، ويقترب من أحواله النفسية لأنّه يتفاجأ بأنّ الشاعر ينفي عنه صفة الحياة، ويقلّل من حضوره على مستوى الحياة السياسية، ففي الجملة الأولى يجد القارئ نفسه وقد خرج من إطار الحياة الكريمة تماما، فهو فرد من قطيع لا أمر له ولا نهي، ثم تمتدّ حالة القطيع إلى النفي، ومادام هذا القطيع المنفي يُرعى من الجزّار فقد لزم أنّه ميّت لا محال، ليواسي بعضه بعضا بالتعازي.

ولابدّ من أنّ العنوان الّذي اختاره أحمد مطر لقصيدته "عزاء على بطاقة تهنئة" أكثر ما يُؤكّد تركيزه على اللّغة الانفعالية في شحذ فكر المتلقي، حيث استغلّ تعارض الدلالة بين التهنئة والعزاء من أجل إثارة المتلقي كي يفتح عنده جبهات التفكير، ويسخر من الحاكم حيث يقدّم له التهنئة بما يستدعي النعي، والحقّ أنّ الشاعر أبدع في اختيار العنوان، فهو يحقّق المشاركة والتأثير بينه وبين المتلقي.

ب. التخصيص والتكثيف الحسّي

تَوجُّه الشاعر إلى التخصيص يبدو واضحا على المستوى اللّغوي من خلال تركيزه على استخدام تراكيب لغوية محدّدة، كما يتبيّن من خلال تحديده لأطراف النزاع، كما في قوله:

فَوَالِينا – أدام اللهُ والينا –
رآنا أُمّةً وَسَطاً
فما أبقى لنا دُنْيا
ولا أبقى لنا دِينا!

وهذه الجمل موحّدة من حيث الدلالة، إذ تدلّ جميعها على الوضع المربك للذات، وهي ترتكز على لوحة فنّية ساخرة، حيث استغلّ الشاعر صفة الوسطية للأمة الإسلامية للفت النظر إلى الحال الّتي وصلت إليها الأمة: "فما أبقى لنا دنيا"، "ولا أبقى لنا دينا"، وهنا نجد الشاعر يحرص كل الحرص على تأكيد هوان الذات عن طريق أسلوب النفي وبطريقة مختصرة ومقنعة على التوالي، وهنا تتبدى لنا حيوية اللّغة الانفعالية بإحلال حقيقة مكان، حقيقة تصل بالسامع إلى درجة عالية من الفهم والاقتناع.

أما عن التكثيف الحسّي فيظهر بوضوح في رسمه للصور السياسية، حين يصوّر ما يدّعيه على الحاكم من الظلم والاستبداد، وما يدّعيه على الشعب من الضعف والهوان، بصور حسّية مجسّمة، نحو قوله: "أنشكو موتنا ذلا لوالينا"، "وهل موت سيُحيِينا"، "قطيع نحن والجزّار راعينا"، "ومنفيّون نمشي في أراضينا"، فها هو الشاعر يحاول من خلال ذلك التأكيد على دخول الأمّة في حالة من الركود والهوان، والألفاظ: (موتنا، موت، قطيع، الجزّار، منفيون) تجسّد القلق والتوتّر الّذي يعيشه الشاعر، فهو حين يطارد المستبدّ، يتخبّط في دائرة الفناء بوحي من انفعالاته، الّتي تتحكّم بها الصراعات السياسية الدائرة بمحيطه.

2.2. هجاء الحاكم

يقوم الخطاب السياسي أساسا على مبدأ دحض الآخر والتأثير في المستمع واستمالته، والشعر السياسي المعارض لا يخلو من أسلوب الهجاء ونفي ما يحاول الخصم إثباته، وبالوقوف على القصيدة نجد هذا الهجاء والدحض يتحقّق على مستوى اللّغة الانفعالية بآليتين:

الأولى: إثبات الصفات المنسوبة للحكام.

الثانية: توظيف أسلوب الاستهزاء.

وذلك ما نجده في المقطع الموالي:

ولاة الأمر ما خنتم ولا هنتم

ولا أبديتم اللينا

جزاكم ربنا خيرا

كفيتم أرضنا بلوى أعاديانا

وحققتم أمانينا

وهذي القدس تشكركم

ففي تنديدكم حينا

وفي تهديدكم حينا

سحقتم أنف أمريكا

فلم تنقل سفارتها

ولو نقلت –معاذ الله–

لو نقلت

..لضيّعنا فلسطينا

ولاة الأمر هذا النصر يكفيكم ويكفينا

تهانينا

تنوّعت الأساليب الّتي يستخدمها أحمد مطر ليثبت تلك المعاني على شخصية الحاكم، بدءا بأسلوب النفي الّذي لا يخلو من السخرية "ولاة الأمر ما خنتم ولا هنتم" "ولا أبديتم اللينا" ، مرورا بالأسلوب الطلبي الّذي يحمل في معناه السخرية أيضا "جزاكم ربّنا خيرا"، وقد استغلّ السخرية كثيرا في محاولة منه إظهار سخطه ونقمته اتجاه الحكّام ومواقفهم الضعيفة، والسخرية واضحة في هذا المقطع من خلال التعابير: "وحققتم أمانينا"، "وهذي القدس تشكركم"، "سحقتم أنف أمريكا"، "فلم تنقل سفارتها"، كلّ هذه العبارات يراد بها إثارة ذهن السامع ولا يراد معناها على حقيقته، وهي وإن كانت عبارات بسيطة فلها تأثير نفسي قويّ يتوافق مع الحالة الشعورية والنفسية للقارئ العربي، فالخروج عن الدلالة الحرفية للجملة يرجع لعمق الشعور بالقضية ولأهميّة الموضوع وتشكّله على مدار عقود.

فالمتكلّم «لا يستطيع تحويل الإحساسات والانفعالات إلى أفكار إلا تدريجا، وأنّ الفكرة تخرج من العناصر الانفعالية دون أنْ تقصيها إقصاءً تاما، وأنّه يتكوّن في داخل اللّغة الفجائية الّتي هي انفعالية محضة نواة صلبة تنمو شيئا فشيئا كلّما ازدادت الأجزاء المحيطة بها صلابة» (فندريس جوزيف، مرجع سابق، ص. 196).

والشاعر يخصّص معنى محدّداً يطارده بدءا من العنوان إلى آخر القصيدة، وعلى المستوى العاطفي فإنّه يشهد إصراراً على تفعيل طاقة التحرّر الانفعالية على ذات المتلقي، وهذا الميل الانفعالي كان سببا في قوّة البناء الفنّي للقصيدة بل وكلّ أشعاره.

وبناء على ذلك يمكن القول أنّ أحمد مطر الّذي عانى من تدهور وضع الوطن العربي، حاول جاهداً التنفيس عن ذلك، والبحث عن وضع مزدهر يدعو للافتخار من خلال اعتماده عقيدة النضال الشعري.

إنّ أحمد مطر في بحثه عن الحرية لا يجد أمامه إلا أن يرثي حالة المواطن العربي وينتفض ضد الطغيان، فرثاؤه لحال الشعوب وهجاؤه للحكام ليس لأنّه شاعر فحسب، بل لأنّه استطاع أن يشكّل تيارا معارضا للطغيان على المستوى الواقعي.

حين نتابع السير وفق خط القصيدة فإنّنا نجد إضافة إلى ثنائية الحاكم والمحكوم بوصفها الثنائية الرئيسية في شعر أحمد مطر السياسي، محاور أخرى فإنّه يلفت الانتباه ذلك التركيز الكبير على العالم الغربي ممثلا بأمريكا، وتبرز الدوال الوجدانية.

3. المحور الثاني: العالم العربي والعالم الغربي

يقوم الشعر السياسي على مبدأ الشحن والتأثير، وقد أثبت التحليل اللّغوي لقصيدة أحمد مطر أنّ الواقع السياسي لا يقتصر على الوضع الداخلي للعالم العربي فقط، ولكنّه يرتبط بشكل كبير بالعالم الغربي الّذي يحدّده بدولة الولايات المتّحدة الأمريكية باعتبارها من تقود زعامة هذه الدول، وهذا التحديد يتحقّق على المستوى اللّغوي من خلال توظيف آليتين:

الأولى: نفي خضوع وُلاة الأمر للعالم الغربي على سبيل التهكّم.

الثانية:إثباتنقل السفارة الأمريكية للقدس على سبيل الاستنكار.

ولعلّ نظرية التواصل عند جاكبسون الّتي تُوضّح العناصر وتفصلها وصولا إلى ما يُعرف في كتب النقد بوظائف اللّغة عند جاكبسون. تفتح الطريق أمامنا لمعرفة أهميّة هذه الوظائف في إحداث التأثير والانتباه، كما تساهم في استشفار الروابط اللّغوية الّتي يستخدمها الشاعر، أي المرسل في إيصال رسالته، ومن أهم هذه الوظائف الّتي نلمسها في قصيدة أحمد مطر الوظيفة التعبيريَّة أو الانفعالية، حيث ترتبط هذه الوظيفة بمرسِل الرسالة اللّغوية، وعندما تُركِّز الرسالة على المرسِل فإنّ وظيفة اللّغة في الرسالة تكون وظيفة تعبيريَّة، وتكثر هذه الوظيفة في الرسالة ذات الشحنات الانفعالية والعاطفية للمتكلّم؛ وذلك لأنّه يُعبِّر عن انطباعه وانفعاله وشعوره نحو شيء ما، كما أن الرسالةهي المسؤولة عن هذه الوظيفة من وظائف اللّغة عند جاكبسون، لأنّ الرسالة هي الّتي تحمل المعنى (JAKOBSON, R,1963, p. 209-248).

ويمكن إحصاء الضمائر الّتي وردت في مخاطبة ولاة الأمر، وتحميلهم مسؤولية تضييع فلسطين والخضوع لأمريكا فهي كالتالي: خنتم، هنتم، أبديتم اللينا، كفيتم أرضنا بلوى أعاديانا، حقّقتم أمانينا، تنديدكم، تهديدكم، سحقتم.

فالّذي نلاحظه من تكثيف استخدام ضمائر المخاطب هو الرغبة المحمومة عند الشاعر في توجيه اللوم إلى ولاة الأمر إلى أبعد حد، وضمائر المخاطب هي أكثر ما يحقّق ذلك، وهذا من شأنه أن يؤكّد أنّ الخضوع للعالم الغربي يظلّ سبب تدهور الأوضاع السياسية في العالم العربي، ويظلّ خلف مشاكله.

ومن ناحية ثانية فإنّ استخدام الشاعر لضمائر المخاطب يمكن أن يكشف حرصه وهو يمثّل الطرف السياسي الأضعف على توجيه الخطاب بشكل مباشر لولاة الأمر ولأمريكا.

ومن النتائج التي نلمسها من تكثيف استخدام ضمائر المخاطب مقارنة بتخفيض ضمائر الآخر أي العالم الغربي، تأكيد هوان الأمة العربية وسط عالم من القوى الجائرة، وعليه فإنّ نسبة استخدام الضمائر يعبّر عن مكانة الأطراف ضمن دائرة الصراع، ويكشف عن انفعالات الشاعر الّتي استخدم في إيصالها أسلحته اللّغوية لتوضيح الصورة للمواطن العربي، لأنّ حضور أمريكا بشكل مقتضب يؤكّد أنّ ضياع فلسطين سببه خضوع ولاة الأمر، وأنّ لولا خضوعهم لأمريكا لتمكّنت الشعوب العربية من تحرير فلسطين.

وتكشف الوسائط التعبيرية المستخدمة في القصيدة على يقين الشاعر ممّا يدعيه على ولاة الأمر من خضوع وهوان، فاستخدام الفعل "صفعتم وجه أمريكا" يصنع صورة استعارية ساخرة يصبح فيها المشبه "أمريكا" كالإنسان الّذي يُصفع، ويُصبح الحكّام العرب كالبواسل الّذين يذودون عن الأمّة، وما يُثبّت تهكّم أحمد مطر وسخريته من ضعف ولاة الأمر المقطع الآتي:

فلم تنقل سفارتها

ولو نقلت –معاذ الله–

لو نقلت

..لضيّعنا فلسطينا

فالصورة تنشّط الأفكار والعواطف، وتعمل على التأثير في انفعالات المتلقي، ومن هنا، فإنّ الوظيفة التأثيرية تُحدّد لنا العلاقة المتينة بين الشاعر والشعب الّذي ينتمي إليه، فهو يُحرّك انفعالاته ويثيرها، ومن خلال القصيدة السابقة بمكننا ملاحظة الارتفاع في نسبة استخدام ضمائر المتكلّم "نحن"، الّذي يكشف عن رغبة أحمد مطر الّذي ينتمي إلى فئة الشعب المستضعفة، ويعاني من الاستبداد الّذي يعانيه شعبه، في توكيد ذات هذا الشعب من خلال الاستخدامات اللّغوية، وبذلك يتحقّق التفاعل بين هذه القصيدة الشعرية والبيئة الاجتماعية والسياسية .

إنّ مظاهر الانفعال تظهر في لغة أحمد مطر في شكل لافتات لغوية ساخرة، جعل منها وسيلة للدفاع عن الشعوب العربية. وبذلك تمكنّا من ملامسة السمات اللّغوية الانفعالية عند الشاعر، لأنّ قولبة الانفعالات إلى رموز لغوية معبّرة «يقودنا إلى دراسة تراكيب الجمل وسياقها الشعري في ضوء صياغة النّص ومصداقية الواقع المعيش... إذ إنّ علاقة الجمل بالقضايا المطروحة تبلور رؤية الشاعر اتجاه هذه القضايا، خاصّة أنّ الجمل تعدّ أداة تعبيرية عن هذه القضايا، لأنّها تعتبر ذات دلالة حقيقية على القضيّة المطروحة، شريطة أن يكون الشاعر واعيا فكريا وحضاريا وثقافيا وسياسيا واجتماعيا» (عبد الرحمن مبروك، مرجع سابق، ص. 86).

في الشعر السياسي يشكّل المتلقي المحور المركزي في تداولية هذه القصائد، ولذلك فإنّه ينبغي على الشاعر أن يختار من المعاني ما يتوافق مع الحالة الشعورية والنفسية لهذا المتلقّي، وتسهم اللّغة الانفعالية في تجلية تلك المعاني،فالشاعر حين يستخدم الأدوات التعبيرية الّتي تلامس وجدان النّفس، إنّما يفعل ذلك ليحقّق المشاركة بينه وبين المتلقّي.

4. الخاتمة

إنّ البحث في اللّغة الانفعالية يُساهم في استنباط المعاني الّتي تأتي على هيئة صور لغوية، كما يُساهم في الكشف عن الرؤيا العميقة الّتي تُحرّك هذه الصور وتحقّق غايتها، وبذلك فقد استطاع أحمد مطر من خلال ترجمته لانفعالاته أن يرسم للقارئ العربي صورة ما يعيشه على المستوى السياسي، لأنّه يملك إحساسا مضاعفا من الناحية النفسية، فقد برزت عنده صور الواقع السياسي بهذه البراعة نتيجة أحاسيسه وقناعاته المتينة.

وقد بدا واضحا ممّا سبق أنّ الاستخدام المكثّف لضمائر المتكلّم والمخاطب من طرف الشاعر يصدر من رغبته الكبيرة في تبرئة الطرف الّذي ينتمي إليه مقابل اتّهام الطرف الآخر.

تبيّن أيضا اعتماد الشاعر على أسلوب النفي والاستفهام والالقاء بصيغ التهكّم، وهو ما يدلّ على الفهم المتقدّم للحيل التعبيرية النفسية الّتي تُحدث تأثيرا عميقا في السامع.

وعليه، فإنّ ما عملت الساحة السياسية على إخفائه وحجبه يظلّ مع الشعر السياسي المؤثّر واضحا على مستوى الحياة الّتي تعيشها الشعوب.

قائمة المراجع

1- أحمد مطر، (2011)، المجموعة الشعرية، دار العروبة، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان.

2- أحمد الطريسي ، (د.ت)، النص الشعري بين الرؤية البيانية والرؤيا الإشارية: دراسة نظرية وتطبيقية، الرياض :عالم الكتب.

3- عباس فضل حسن، (1429هـ-2009م)، البلاغة فنونها وأفنانها- علم المعاني، الطبعة الثانية عشر، دار النفائس- عمان (الأردن).

4- عبد العزيز العصيلي،(1427هـ/2006م)، علم اللغة النفسي، الطبعة الأولى، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

5- فندريس جوزيف، (1950 م)، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية،.

6- مراد عبد الرحمن مبروك ، (2000)، من الصوت إلى النص: نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

7- JAKOBSON, R,(1963), « Linguistique et poétique », Essais de linguistique générale, .Paris, Minuit